مناقب بني أمية

في الإسلاموموقف للخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي اللّه عنه

علي بن محمد عبده المطري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مناقب بني أمية في الإسلام

ومواقف للخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه

إعداد وجمع:

علي بن محمد عبده المطري

عفا الله عنه وغفر له ورحمه

وأسكنه فسيح جناته

١٥/ شعبان / ١٤٤٢ هـ

مناقب بني أمية في الإسلام

ومواقف للخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]، {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠، ٧١]، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أما بعد:

- على رغم ما فعلته الدولة الأموية من مآثر وما كان لها من أيادي بيضاء على الإسلام وتاريخه وحضارته، لكنها أكثر الدول التي تعرضت للهجوم والتشويه، وكثير من هذا الهجوم كان نتيجة مقارنتها بعهد الخلافة الراشدة، وأكثر منه ما كان معتمدًا على النظرة غير الصحيحة السائدة عن سيدنا معاوية رضي الله عنه.

- قال ابن حزم: "وكانت دولة عربية، لم يتخذوا قاعدة [أي: لم يتخذوا مدينة ملكية]، إنما كان سكنى كل امرئ منهم في داره وضيعته التي كانت له قبل الخلافة، ولا أكثروا احتجانَ [الاحتجان: جمعُ الشيء وضمُّه إليك؛ ابن منظور: لسان العرب: ١٠٨/١٣] الأموال ولا بناءَ القصور، ولا استعملوا مع المسلمين أن يخاطبوهم بالتمويل [أي: لم يلزم الخليفةُ الناسَ أن يقولوا عند مخاطبته: يا مولاي] ولا التسويد [أي: أن يقولوا: يا سيدي]، ويُكاتبوهم بالعبودية والمُلك [أي: أن يكتبوا إلى الولاة والوزراء بقولهم: من الملك، أو من السيد إلى العبد أو المولى]، ولا تقبيل الأرض ولا رِجْلٍ ولا يَدٍ [كان من عادة خلفاء الدول من بعد بني أمية، ومما يُعَدُّ من الآداب السلطانية أو "البروتوكول الرسمي" - بمصطلح هذه الأيام- أن يُقَبِّل الناس يد الخليفة، وبعض الدول كان الناس يُقَبِّلون الأرض بين يدي الخليفة]، وإنما كان غرضهم الطاعةَ الصحيحة من التولية والعزل في أقاصي البلاد، فكانوا يعزلون العمّال، ويولُّون الآخرين في الأندلس، وفي السِّند، وفي خراسان، وفي أرمينية، وفي اليمن، فما بين هذه البلاد.

وبعثوا إليها الجيوش، وولّوْا عليها مَنِ ارتضوا من العمال، وملكوا أكثر الدنيا، فلم يملك أحد من ملوك الدنيا ما ملكوه من الأرض، إلى أن تغلّب عليهم بنو العباس بالمشرق، وانقطع بهم ملكهم، فسار منهم عبدالرحمن بن معاوية إلى

الأندلس، وملكها هو وبنوه، وقامت بها دولة بني أمية نحو الثلاثمائة سنة، فلم يكُ في دول الإسلام أنبل منها، ولا أكثر نصرًا على أهل الشرك، ولا أجمع لخلال الخير"؛ [ابن حزم: رسائل ابن حزم ١٤٦/٢]".

- هذه كلمة حق من إمام كبير ثقة ثَبْت بحجم ابن حزم، وقد قالها بعد انقضاء آخر معاقل الدولة الأموية في الأندلس، بعدما تفكَّك الحكم الأموي وآلت الأندلس إلى عصر ملوك الطوائف، ومن ساعتها بدأ حكم الأندلس في الضعف والانهيار، وحتى فترات النهضة التي كانت في عصر المرابطين ثم الموحدين لم تبلغ ما بلغه الحكم الأموي؛ إذ سقطت طليطلة إلى غير رجعة (٤٧٨ هـ) فتقلصت مساحة الأندلس الإسلامية، حتى إذا انهار المرابطون والموحدون لم يعد بالأندلس قيادة قوية، وذهبت الأندلس نحو مصيرها البائس ولحظاتها الأخيرة.

- فكلمة ابن حزم هذه ليست فحسب قيمة في ميزان التأريخ، بل كأنه كان يرى الغيب ويعرف أنه لن تبلغ الأندلس تحت حكم آخر مثلما بلغته تحت حكم الأمويين.

وبأثر من هذا نستعرض بعضًا من مآثر بني أمية.

١- انتشار الفتوحات:

كان بنو أمية يفتحون البلاد في أربع جهات على البر، بخلاف فتح جزر البحر المتوسط، وبلغت دولة الإسلام أقصى اتساع لها -كدولة واحدة- في ظل الأمويين، وكانت ذروة الفتوحات الإسلامية على أيدي هؤلاء القادة: تم فتح المغرب والأندلس على يد القادة: عقبة بن نافع وحسان بن النعمان وموسى بن نصير، ومن ورائها فرنسا على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير والسمح بن مالك الخولاني وعبدالرحمن الغافقي، وسارت الفتوح في الشرق في بلاد ما وراء النهر حتى الصين بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي، وفي الجنوب الشرقي حتى السند بقيادة المهلب بن أبي صفرة ومحمد بن القاسم، وفي الشمال وبلاد القوقاز بقيادة مسلمة بن عبدالملك ومروان بن محمد، هؤلاء القادة هم الذين رسخوا الوجود الإسلامي في تلك المناطق، وكانت فتوحاتهم تتميمًا وتكميلًا لما سبقها من فتوح في عهد الراشدين، وتأسيسًا لدخول هذه المناطق في الدولة الإسلامية بشكل نهائي؛ [د. حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص١٣٠ وما بعدها].

وقد جرت في كل تلك الفتوح أعمال من أندر وأروع ما يمكن أن يُكتب في تاريخ البطولة والأبطال، وقدم الفاتحون نماذج لا مثيل لها في الجهاد والبذل والتضحية والإخلاص، وكم من مجاهد مات في هذه الأرض البعيدة لا نعرف اسمه ولا قبيلته

ولا شيئًا من حياته، ترك الدنيا كلها وذهب ليموت في تلك الأصقاع، لا يرجو إلا الله والدار الآخرة، ستأتي هذه البلاد في ميزان حسناته يوم القيامة!

وما استطاع أحد بعد بني أمية أن يسطر في الفتوح تاريخًا كتاريخهم، ولا حتى تاريخًا يقاربهم.

٢- وحدة الدولة:

فلقد ظلَّت الدولة الإسلامية دولة واحدة في عهد الأمويين، وهو ما لم يتوفر لدولة من بعدهم أبدًا؛ إذ كثرت الاستقلالات الذاتية للولايات والمناطق لا سيما البعيدة، وخصوصًا في أوقات ضعف الخلافة المركزية، بعكس الحال في عهد بني أمية؛ إذ ظلت الدولة متوحِّدة يملك خليفتها في دمشق أن يُعيِّن الوالي أو يعزله في الأندلس غربًا أو في بلاد ما وراء النهر شرقًا، وما إن انتهت الدولة الأموية حتى كأنها على موعد مع انتهاء الدولة الإسلامية الواحدة.

فما إن استقرت الدولة العباسية في عهد المنصور إلا وكانت الأندلس قد خرجت من سيطرته حيث استقل بها الفتى الأموي عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك، الذي عرف باسم "عبدالرحمن الداخل" ولُقِّب بـ "صقر قريش"، وقد استطاع الداخل أن يعيد مجد الأمويين في المغرب بعد زوال دولتهم في المشرق، وأنقذ الوجود الإسلامي في الأندلس من الضياع بعد أن كانت الحالة الأندلسية قد تقسمت بين العصبيات

والقبليات من ناحية، وأرهقتها الحروب التي اشتعلت مع الفرنج خارجيًّا ومع الخوارج داخليًّا. استطاع الفتى الأموي بناء الدولة الإسلامية في الأندلس، وجعل قرطبة الغرب قرينة بغداد الشرق.

ثم ما لبثت المغرب أن انفصلت وخرجت عن سلطان الخلافة، ونشأت فيها دول للخوارج، استقلت بالمغرب الأقصى والأوسط، ولم تستطع الخلافة العباسية إلا مَدَّ نفوذها حتى المغرب الأدنى وإفريقية (تونس الآن)، وذلك في أقوى عهودها: المنصور والمهدي. ثم كان للرشيد أسلوب آخر في إدارة الولايات البعيدة يشبه النظام الفيدرالي المعاصر، فعهد بإفريقية إلى الأغالبة، وبخراسان إلى الطاهريين، واستمر هذا النظام فيما بعد.

على أن الشاهد المقصود هو أن الدولة الإسلامية الموحدة تحت خليفة واحد انتهت مع الدولة الأموية التي استطاع خلفاؤها أن يجمعوا تحت رايتهم كل أبناء الأمة الإسلامية شرقًا وغربًا.

٣- التعريب:

لقد ظلت الدواوين الإدارية تكتب بغير العربية [بخلاف ديوان العساكر أو الجند الذي كان يُكتب باللغة العربية منذ تأسيسه في عهد عمر بن الخطاب]، بل بلغة البلاد

المفتوحة، ففي مصر كانت الدواوين تُكتب باللغة القبطية حتى بعد الفتح، وفي العراق وفارس تُكتب بالفارسية، وفي الشام تُكتب بالرومية (اليونانية) وهكذا، حتى أمر عبدالملك بن مروان ثم الوليد بن عبدالملك بتحويل الدواوين إلى اللغة العربية [المقريزي: الخطط ١/٢٨٢، وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ١/٢٤٤].

وكان لهذا القرار تأثير واسع في انتشار وثبات اللغة العربية في البلاد المفتوحة، وأسهم في إقبال غير العرب على تعلمها واستيعابها، وهو ما أدى إلى النهضة باللغة العربية وجعلها لغة العلوم والحضارة فيما بعد [بالإضافة إلى ما في الإسلام نفسه من حثٍّ على تعلم العربية لضرورات العبادة والتفقه في الدين]، ويكفي أن نعلم أن البلاد التي ثبتت فيها اللغة العربية لم يخرج منها الإسلام أبدًا إلا في حالة واحدة وهي "الأندلس"، وحسبك بهذا وحده حسنة من حسنات الدولة الأموية.

كما كان لهذا القرار أثر عميق في توحيد الدولة توحيدًا حقيقيًّا وراسخًا وليس مجرد انضواء تحت سلطة سياسية واحدة، ولا حتى توحيدها ماليًّا وإداريًّا فحسب. إن مثل هذا القرار مَكّن الأجيال التالية عبر القرون أن تنتقل من الأندلس غربًا إلى أقصى الشرق تطلب العلم أو تطلب الرزق دون أن تعترضها حواجز اللغة، وحين تتكلم هذه الأقطار الواسعة لغة واحدة تفكر بها فتقول وتخطب وتكتب وتؤلف بها فلا بد أن نتوقع

ثراءً غير محدود وإسهامات غنية من الشرق والغرب والشمال والجنوب وما بينهما، وبهذه الإضافات كانت الحضارة الإسلامية أكثر الحضارات ثراءً وخصوبةً.

ولئن كنا نتذكر فضل الخليفة العباسي المأمون على الحضارة الإسلامية كأوسع خليفة تمت في عهده حركة ترجمة العلوم إلى العربية، فلا بد أن نتذكر قبله بالفضل عبدالملك بن مروان الذي أسس لسيادة اللغة العربية نفسها فمن ثم نشأت الحاجة إلى ترجمة العلوم إليها، فلم يضطر المسلمون إلى الخروج من ذواتهم وهويتهم حين أنشأوا الحضارة بل احتفظوا بأصالتهم فاستوعبوا حضارات من قبلهم ثم أضافوا إليها فأبدعوا.

ابن تيمية كتب عن بني أمية:

- من ابن تيمية؟

- هو شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم الخضر الحراني الدمشقي الحنبلي، المشهور بتقي الدين ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨م)، ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطُلِب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها، فسُجِن مدة، ونقل إلى الإسكندرية، ثم أُطلِق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ واعتُقل بها سنة ٧٢٠ هـ وأُطلِق، ثم أُعيد، ومات معتقلًا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان، وبرع في العلم والتفسير، وأفتى ودرَّس وهو دون العشرين.

- اشتهر بالجرأة والصلابة والتحرُّر في الاجتهاد، كما رفع راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجاهد التتار بنفسه.

- من كتبه: الفتاوى، الجمع بين النقل والعقل، الواسطة بين الحق والخلق، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، السياسة الشرعية، الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية[1].

- ابن تيمية وكتابته عن الدولة الأموية:

- يحتوي كتاب منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لشيخ الإسلام ابن تيمية على نظرات نافذة في التاريخ الأموي، تنشد العدل والإنصاف، وتليق بتلك العقلية النابهة لشيخ الإسلام، التي ترفض التقليد والجمود وتؤثر التفكير والاجتهاد.

- يتعقب ابن تيمية شبهات الشيعة والمعتزلة عن الأمويين ويناقشها ويرد عليها، ومن أبرزها الشك في جدية إسلام بعض كبار الأمويين بدعوى أنهم من الطلقاء الذين أسلموا بعد الفتح، لما لم يكن أمامهم غير الإسلام، فيرى ابن تيمية أن كلمة الطلقاء ليست بصفة ذم، فإن الطلقاء غالبيتهم حسن إسلامهم، وكانوا من خيار

١ الزركلي: الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار/ مايو ٢٠٠٢م، ١/ ١٤٤.

المسلمين، ومعاوية ممن حسن إسلامه[٢]. وكذلك حسن إسلام أبيه أبي سفيان بن حرب وأمه هند بنت عتبة[٣]، وقد أصبحت مكانة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عظيمة في الإسلام منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٤].

- ويرد ابن تيمية الأحاديث الموضوعة التي يزعمها أعداء الدولة الأموية في ذم بني أمية على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم[٥]، وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم بعضهم على بعض ولاياته[٦].

- وينص ابن تيمية على العلاقة الوثيقة بين بني أمية وبني هاشم، فهما ينتميان معًا إلى جد واحد هو عبد مناف، وما زالوا متفقين في أيام النبي صلى

---

٢ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، ٤/ ٣٨٢، الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، تحقيق: محب الدين الخطيب، ١/ ٢٤٨- ٢٤٩.

٣ الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال، ١/ ٢٦٨.

٤ الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال، ١/ ٢٤٩.

٥ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ٤/ ٤٤٣- ٤٤٤، الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال، ١/ ٢٥٨.

٦ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ٤/ ٤٦٠، الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال، ١/ ٢٦١.

الله عليه وسلم وفي إمرة الشيخين[٧]، ولما وقع القتال بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كانا أطلب لكف الدماء من أكثر المقتتلين، فقال: "وَكَانَ عَلِيٌّ وَمُعَاوِيَة رَضِي الله عَنْهُمَا أطلب لكف الدِّمَاء من أَكثر المقتتلين لَكِن غلبا فِيمَا وَقع والفتنة إِذا ثارت عجز الْحُكَمَاء عَن إطفاء نارها"[٨]. وكان لكل فريق من المتحاربين وجهة نظره المتأسسة على دلائل شرعية[٩].

- ولما يبحث ثورة الحسين بن علي رضي الله عنهما، يرى أنه قُتل مظلومًا شهيدًا، غير أن يزيد بن معاوية لم يأمر بقتاله، ولكن كتب إلى ابن زياد، أن يمنعه عن ولاية العراق، ويحمِّل أهل العراق وجيش ابن زياد مسئولية قتله، ولما بلغ ذلك يزيد أظهر التوجُّع على ذلك، وأظهر البكاء في داره، ولم يسْبِ له حريمًا أصلًا (كما يزعم الرافضة)، بل أكرم أهل بيته وأجازهم حتى ردهم إلى بلدهم[١٠].

---

٧ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ٦/ ١٧٠، الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال، ١/ ٣٧٢.

٨ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ٤/ ٤٦٧، الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال، ١/ ٢٦٣.

٩ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ٣٥/ ٧٢- ٧٣.

١٠ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ٤/ ٤٧٢، ٤/ ٥٥٧- ٥٥٨، الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال ١/ ٢٦٦- ٢٦٨.

- ورغم ذلك فإن ابن تيمية يرى أنه لم يكن في خروج الحسين رضي الله عنه على يزيد مصلحة لا في دين ولا في دنيا، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن يحصل لو قعد في بلده، وينفي كثيرًا من مبالغات الشيعة في قصة استشهاده.

- فبعد أن ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية مشورة أفاضل أهل العلم والدين؛ كابن عمر وابن عباس وأبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم أَن لَا يخرج وَغلب على ظنهم أَنه يقتل حَتَّى إن بَعضهم قال: أستودعك الله من قَتِيل، وقال بعضهم: لولا الشناعة لأمسكتك ومنعتك من الخروج، وهم بذلك قاصدون نصيحته طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين، فيقول: "وَالله وَرَسُوله إِنَّمَا يَأْمر بالصلاح لَا بِالْفَسَادِ لَكِن الرَّأْي يُصِيب تَارَة ويخطئ أُخْرَى، فَتبين أَن الْأَمر على مَا قَالَه أُولَئِكَ؛ إِذْ لم يكن فِي الْخُرُوج مصلحَة لَا فِي دين وَلَا فِي دنيا بل تمكن أُولَئِكَ الظلمَة الطغاة من سبط رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم حَتَّى قَتَلُوهُ مَظْلُومًا شَهِيدًا، وَكَانَ فِي خُرُوجه وَقَتله من الْفساد مَا لم يحصل لَو قعد فِي بَلَده، فَإِن مَا قَصده من تَحْصِيل الْخَيْر وَدفع الشَّرّ لم يحصل مِنْهُ شَيْء، بل زَاد

الشَّرُّ بِخُرُوجِهِ وَقَتله وَنقص الْخَيْر بذلك وَصَارَ سَببًا لشرٍّ عَظِيمٍ، وَكَانَ قتل الحسين مِمَّا أوجب الْفِتَن كَمَا كَانَ قتل عُثْمَان مِمَّا أوجب الْفِتَن"[١١].

- ويتحدث ابن تيمية عن ثورة أهل المدينة على يزيد بن معاوية فيقول: "وَأَمَّا مَا فَعَلَهُ بِأَهْلِ الْحَرَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا خَلَعُوهُ وَأَخْرَجُوا نُوَّابَهُ وَعَشِيرَتَهُ، أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ يَطْلُبُ الطَّاعَةَ، فَامْتَنَعُوا"، فأرسل لهم جيشًا فأوقع بهم، ولكن لم تحدث الفظائع التي ينسبها المؤرخون إلى ذلك الجيش، ويزعمون أنه ارتكبها في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم[١٢].

- حول إنصاف الفقهاء للأمويين:

- إن محاولة الفقهاء إنصاف الأمويين في بحوثهم التاريخية لا تعني أبدًا محاباتهم الأمويين، أو تزييف التاريخ لصالحهم، فكما كشف هؤلاء الفقهاء زيف كثير من الروايات التي تهاجم الأمويين، كشفوا أيضًا وضع بعض الروايات التي تعلي من شأنهم وتمجِّدهم، فقد كان هدفهم تقصي الحقيقة، لا الانتصار لفريق على آخر، فقد نبَّه ابن الجوزي في كتابه الموضوعات على بعض الأحاديث التي

١١ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ٤/ ٥٣٠- ٥٣١، الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال ١/ ٢٨٧- ٢٨٨.

١٢ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ٤/ ٥٧٥، الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال، ١/ ٢٩٢- ٢٩٣.

وضعها أنصار الأمويين في فضائل معاوية رضي الله عنه[١٣]، كما انتقد الحافظ ابن حجر رحمه الله إيراد مثل هذه الأحاديث، وقال ابن كثير بعد أن أورد بعض ما صحَّ من الأحاديث في مناقب معاوية رضي الله عنه: "وَقَدْ أَوْرَدَ ابْنُ عَسَاكِرَ بَعْدَ هَذَا أَحَادِيثَ كَثِيرَةً مَوْضُوعَةً، وَالْعَجَبُ مِنْهُ مَعَ حِفْظِهِ وَاطِّلَاعِهِ كَيْفَ لَا يُنَبِّهُ عَلَيْهَا وَعَلَى نَكَارَتِهَا وَضَعْفِ رِجَالِهَا"[١٤].

- وقد لفتت ظاهرة إنصاف الدولة الأموية عند بعض الفقهاء الذين كتبوا في التاريخ أنظار بعض الباحثين، غير أن بعضهم فسَّرها تفسيرًا بعيدًا، لما وجدها في أعمال بعض علماء الأندلس، كابن حزم وابن العربي، فذهب إلى أنها ظاهرة أندلسية جاءت نتيجة تأثير خلافة الأمويين التي كانت هناك فيقول: "نجد هذه الأخبار (أي: المظهرة لفضائل الأمويين) متواردة في معظم كتب التاريخ التي كتبت في الأندلس، وأظهر مثال لذلك أبو محمد علي بن حزم، الذي يدافع عن الأمويين دفاعًا عظيمًا، وأبو بكر بن العربي الذي ذهب في كتاب العواصم من القواصم إلى درجة أنه أيَّد يزيد في قتله الحسين بن علي رضي الله عنهما، وتتضح

---

١٣ ابن الجوزي: الموضوعات، ضبط وتقديم وتحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبدالمحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، جـ ١، ٢: ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م، ٢/ ١٥- ١٦.

١٤ ابن كثير: البداية والنهاية، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م، ٨/ ١٢٠.

هذه الظاهرة في كتاب في التاريخ لم ينشر بعد لعبدالملك بن حبيب الفقيه الأندلسي، فقد مُلئ كتابه هذا بفضائل الأمويين والتعصب لهم"[١٥].

- إن من أهم ما يعكر صفو هذه الرؤية أن الأسماء التي ذكرها الباحث كلها من أسماء الفقهاء، وأن هذه الظاهرة لم تمتد لتشمل غيرهم من المؤرخين والأدباء الأندلسيين، فهناك دراسة لابن عبد ربه الأندلسي في كتابه العقد الفريد، سار فيها على نهج مؤرخي وأدباء المشرق، فجاءت بعض رواياته مملوءة بالتشنيع على بني أمية، وقد كان ابن عبد ربه أحد مواليهم، وإذا كان التأثر بالأمويين في الأندلس هو الدافع لكتابات ابن حزم وابن العربي، فما الداعي إلى ظهور نفس الظاهرة من إنصاف الأمويين عند فقهاء آخرين لم يدخلوا تحت سلطان الأندلس مثل: ابن تيمية والذهبي وابن كثير وابن حجر وغيرهم؟!

المصدر: كتاب: الدولة الأموية المفترى عليها، د. حمدي شاهين.

١٥ حسين مؤنس: هامش تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان، ٤/ ٩١، وليس دقيقًا القول بأن ابن العربي أيَّد يزيد في قتله الحسين تأييدًا مطلقًا، بل التمس لقاتليه العذر حيث كانوا -فيما يرى- يتأوَّلون بعض النصوص الشرعية التي تبيح قتل الخارج عن الجماعة؛ (انظر ابن العربي: العواصم من القواصم، طبعة وزارة الأوقاف السعودية).

مواقف للخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه:

- نقف اليوم في رِحاب عَلَمٍ من أعلام المسلمين، وشخصيَّة من الشخصيَّات العظيمة، مع الرجل الذي لم يكن قِمَّةً في الزُّهد فحسب، ولا قِمَّة في العبادة فحسب، ولا قِمَّة في الوَرَع فحسب، وإنما كان قِمَّة في ذلك كلِّه، فكانت حياته قِمَمًا شامخة في كلِّ ذلك، مع الرجل الذي أقبلتْ عليه الدنيا بخَيْلِها ورجلها، فأعرض عنها؛ رغبةً في النعيم الْمُقيم في جوار ربِّ العالمين، مع الرجل الذي كانتْ حياته معجزة، الرجل الذي ملأ الأرض عدلًا بعد أن مُلِئَت ظُلمًا وجورًا، إنه عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى.

المسلم الكريم عمر بن عبدالعزيز الأموي:

- عندما تقرأ قصصَ المهتدين والعابدين تجدُ أنَّ نقطةَ التحوُّل في حياتهم كانت إمَّا بسبب موت قريبٍ، أو فجيعة في عزيز، أو كِبَر في السنِّ، أو مَرض زعزع كيانهم حتى أفاقوا إلى رشدِهم؛ لكن عمر بن عبدالعزيز كانت نقطةُ التحول في حياته يوم أن فُتِحَتْ زخارف الدنيا كلُّها بين يديه، يأخذ ما يشاء ولا يحاسبه أحدٌ إلا الله، هذه اللحظة التي تضعُف فيها النفوس كانت نقطة الاستفاقة في حياة عمر، فخاف أعظم ما يكون الخوف، وعدل أحسن ما يكون العدل،

لقد خاف عمر ولم يكن خوفه إلا من الله، فلم يكن بينه وبين الله أحدٌ من الخَلْق يخشاه؛ لذلك عندما وصل نبأُ موتِ الخليفة "عمر بن عبدالعزيز" رضي الله عنه إلى إمبراطور الروم الذي كان خَصْمًا عنيدًا لدولة الإسلام، بكى بكاءً شديدًا أذهل حاشيته، فسألوه عن ذلك، فأجابهم بكلمات تُعتبَر من أصدق وأجمع ما قِيل في تأبين الخليفة أمير المؤمنين رضي الله عنه؛ حيث قال: ماتَ والله رجلٌ عادلٌ، ليس لعدله مثيلٌ، وليس ينبغي أنْ يَعجبَ الناس لراهبٍ ترك الدنيا؛ ليعبدَ الله في صومعته، إنما العجبُ لهذا الذي أتته الدنيا حتى أناختْ عند قدمه، فأعرض عنها، ما رأيكم -أيها الناس- برجل يبكيه أعدى أعدائه؟!

- قال عنه مالك بن دينار رحمه الله: الناس يقولون عنِّي: زاهد، وإنما الزاهد عمر بن عبدالعزيز الذي أتته الدنيا فتركها.

فتعالَ -أخي المسلم- لنعيش وإيَّاكم مع بعض من مواقف هذا الرجل الذي ضرب فيها أروعَ الأمثلة في العدل ورَفْع الظلم عن الناس، وفي الزهد والوَرَع والخوف من الله، وكم نحن اليوم بحاجة إلى سماع مثل هذه الأخبار؛ لعلَّها تكون دافعًا لنا إلى التغيير.

الموقف الأول:

- أين المسلمون من عمر؟! وأين نساء الأمة من زوجته فاطمة؟!

عندما تولَّى "عمر" الخلافة نَظَرَ في بيت مال المسلمين، ثم نظر إلى ما في يده، ثم نظر إلى ما في يد أمراء بني أُميَّة، فماذا فعل يا تُرى؟

بدأ بنفسه، فدعا زوجه فاطمة ابنةَ الخليفة عبدالملك بن مروان، وزوجةَ الخليفة عمر بن عبدالعزيز، وأختَ الخلفاء الأربعة: الوليد، وسليمان، ويَزِيد، وهشام، هم خلفاء بحكم الوراثة، فسألها عمر سؤالًا، قال لها: اختاري يا فاطمة، قالت: أيَّ شيءٍ اختار يا أمير المؤمنين؟

قال لها: إما أن تختاري الذهب والجواهر والزُّمُرُّد ومتاع الدنيا، وإما أن تختاري عمر بن عبدالعزيز، نَعَمْ، خَيَّرَها عمر بين نفسه وبين ما تملك من زينة زُفَّتْ بها؛ لأنها بنت الخليفة.

فماذا قالت فاطمة؟ هذه السيدة المسلمة التي تربَّت في مدارس الإسلام، ونهلت من مناهل القرآن، قالت بلسان اليقين، ومنطق الحق المبين: والله لا أختار عليك أحدًا يا أمير المؤمنين، هذا ذهبي، وتلك ثياب زفافي المرصَّعة بالماس والزُّمُرُّد، ثم قالت: إلى أين تريد الذهاب بها يا عمر؟ قال: سأذهب بها إلى بيت مال المسلمين؛ لتكون للفقراء والمساكين!

الله أكبر، هذا هو العدل كله، وهذه هي النزاهة كلُّها، وهذا هو الزُّهد كلُّه، والإخلاص كلُّه.

يا عمر، إلى أين تذهب بجواهرها وذهبها وزينتها وثياب زفافها؟ إلى أين تذهب بهذا كلِّه يا عمر؟ إلى بيت مال المسلمين، لتكون للفقراء والمساكين! وإذا بفاطمة تقول بلسان يَقِينها: جعلني الله وإياك -يا عمر- فِداءً لله ورسوله.

- وعندما مات عمر، وتولَّى الخلافة بعده "يزيد بن عبدالملك" أخو فاطمة، فقال لها: يا فاطمة، أنا أعلم أنَّ عمر أخَذَ مالك كلَّه، ووضعه في بيت المال، أتأذنين أنْ أعيدَه إليك؟ فقالت له بلسان الحقِّ: ماذا تقول يا يَزِيد؟! أتريد أن آخذَ شيئًا وضعه عمر في بيت مال المسلمين؟! فو الله الذي لا إله إلا هو، لن أطيعه حيًّا وأغضبه ميِّتًا أبدًا، وما غادرتْ بيتها قط بعد عمر، حتى وافتها المنيَّة رضي الله عنها.

هكذا كان عمر، وإلى كمْ عمر نحتاج من الرجال في عصرنا هذا؟! وإلى كمْ فاطمة نحتاج من النساء؟!

- ثم انقلب عمر بعد أن بدأ بنفسه إلى بني أُميَّة، فقطع كلَّ صلاتٍ كانوا يأخذونها وأعطياتٍ كانوا يستلمونها، نظر إلى بيت المال، فإذا اسمه بيت مال المسلمين، ليس بيتَ مال عمر، ولا بيت مال الأمراء، ولكن بيت مال المسلمين.

- فكلُّ مال أُخِذَ من بيت مال المسلمين فدُفع إلى أمير، قام عليه عمر فردَّه من حيث أُخِذ، واستشاط أمراء بني أُميَّة غضبًا، فأرسلوا إليه ابنَه عبدالملك، فقالوا: يا عبدالملك، إما أن تستأذنَ لنا على أبيك، وإما أن تبلِّغه عنَّا، قال: قولوا، قالوا: أخبِره أنَّ مَن كان قبله من الأمراء يعطوننا أعطيات ويصلوننا بصلاتٍ، وأنه قد قطعها عنَّا، مُرْهُ فليردَّها علينا، وأَبْلَغَ عبدالملك أباه المقالةَ، فقال: ارْجع إليهم، فقل لهم: إن أبي يقول: إني أخاف إن عصيتُ ربِّي عذابَ يومٍ عظيم، إني أخاف إن عصيتُ ربِّي عذابَ يوم عظيم.

أرأيْتُم كيف حافظ عمر على أموال المسلمين؟ فيا أصحاب الوظائف، يا أيُّها الأُمَنَاء على المسلمين، حافظوا على أموال المسلمين كما تحافظون على أموالكم، وخذوا الدرس والعِبْرة من ابن عبدالعزيز، واجعلوا شعاركم: "إني أخاف إن عصيتُ ربِّي عذابَ يوم عظيم".

الموقف الثاني: حال بيت عمر:

- عاد سيدنا عمر بن عبدالعزيز -رضي الله عنه- يومًا إلى داره بعد صلاة العِشاء، ولمح بناته الصغار، فسلَّم عليهنَّ كعادته، وبدلًا من أن يسارعْنَ نحوه بالتحيَّة كعادتهنَّ، رُحْنَ يتبادَرْنَ البابَ ويُغَطِّينَ أفْوَاهَهُنَّ بأَكُفِّهِنَّ، فسأل: ما

شأنهُنَّ؟ فأُجِيب بأنه لم يكن لديهِنَّ ما يَتَعَشَّيْنَ به سوى عدس وبصل، فَكَرِهْنَ أن يُشَمَّ مِن أفوَاهِهِنَّ ريحُ البصل، فتحاشَيْنَه لهذا، فبكى أمير المؤمنين، وقال يخاطِبُهُنَّ: يا بناتي، ما ينفعُكُنَّ أن تَعِشْنَ الألوان والأطايب، ثم يُذهَبُ بأبيكُنَّ إلى النار.

الله أكبر، بنات أمير المؤمنين، لا أقول: أمير العراق، أو أمير مصر، أو أمير الشام، إنما أقول: عمر بن عبدالعزيز الذي وصلتْ خيول الدولة في عهده إلى أبواب باريس غربًا، وإلى الصين شرقًا، ولم يكن لدى بناته ما يَتَعَشَّيْنَ به سوى "عدس، وبصل".

لنقل على لسان أمير المؤمنين، لنقل لِمَن يملؤون بطونهم بالألوان والأطايب في نفس الوقت الذي تشكو عوائل كاملة الجوع على مقربة منهم، اعقلوا كلمات ابن عبدالعزيز، وتخيَّلُوا حال بنات خليفة يَتَعَشَّيْنَ العدس والبصل، وأبوهُنَّ خليفة لأكبر دولة!

لا نريد منكم أن ترفضوا الأطايب والألوان من الطعام والشراب، ولكن الْتَفِتُوا ولو بالشيء القليل إلى الأرامل والأيتام والمساكين؛ لتربحوا خيرًا عند الله.

- بل في يوم من أيام العيد جاءت بناتُ عمر بن عبدالعزيز، وقُلْنَ له: يا أمير المؤمنين، العيد غدًا، وليس عندنا ثياب جديدة نَلْبَسُها -بناته يوم العيد لا يَجِدْنَ ثيابًا يَلْبَسْنَها- فماذا كان ردُّ أمير المؤمنين عليهِنَّ؟ نظر إليهنَّ، وقال: يا بناتي، ليس العيد من لبس الجديد، إنما العيد لمن خاف يوم الوعيد!

- فقال له وزير ماليته: يا أمير المؤمنين، ما ضرَّ لو صرفنا لك راتبَ شهرٍ مُقَدَّمًا، فنظر إليه عمر نظرةَ غضبٍ، تكاد من شدة غضبها أن تهتكَ حِجاب الشمس، وقال له: ثكلتك أُمُّك، هل اطلعت على علم الغيب، فوجدتني سأعيش يومًا واحدًا بعد الآن، صدقت يا أمير المؤمنين، هل يوجد هذا اليقين عند المسلمين في دنيا اليوم؟! هل يتذكرون قول الله تعالى: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ٣٤].

إذًا ليكنْ يقينُنا كما قال ابن عمر: "إذا أصبحت، فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح".

الموقف الثالث : تذكُّر قدرة الله عليك:

- كتب عمر -رضي الله عنه- إلى أحد وُلاتِه موعظة، فقال: أمَّا بعد، فإذا دَعَتْكَ قدرتُك على الناس إلى ظلمهم، فاذكر قدرةَ اللهِ عليك في نفاد ما يأتي إليهم، وبقاء ما يُؤْتَى إليك.

وانتبهوا إلى هذا الموقف العظيم:

- يقتحم ذات يوم رجلٌ من عامة الناس مجلسَ أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز، ويتهجَّم على أمير المؤمنين بكلمات تثير غيظ الحليم، فماذا تظنون من عمر أن يفعل؟

والله تحدِّيان رهيبان مخيفان يَعصفان به في وقتٍ واحدٍ؛ التحدي الأوَّل: هو اعتداء من رجل عادي على خليفة، وعلى أمرٍ باطلٍ وليس على حقٍّ، والثاني: مقاومة إغراء الشيطان بالانتقام الآني من أَجْل هيبة الخلافة على أقل تقدير.

ولكن لابن عبدالعزيز في هذا الموقف وقفةٌ شامخة؛ لينبِّه المسلمين من خلالها إلى خُلُق الحِلْم، ويذكِّرهم بقوله تعالى: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤].

قال عمر لهذا الرجل: لعلَّك أردتَ أن يستفزني الشيطان بعزَّة السلطان، فأنال منك اليوم ما تتقاضاه منِّي غدًا عند الله، ولكن قُمْ، عفا الله عنك!

فأين المسلمون من هذه الأخلاق؟! أنا أدعو المسلمين من خلال هذا الموقف، ليكنْ شعارنا مع من أخطأ وأساء في حقِّنا: قُمْ عفا الله عنك!

وأختم كلامي بهذا الموقف الرائع:

- لما حضرته الوفاة، ذهب بعض الأصحاب ليعودوه، وكان عمر قد ترك من الأولاد خمسة عشر ولدًا، فقالوا له وهو يعالجُ سكرات الموت: ماذا تركت لأولادك يا أمير المؤمنين؟ كم مليارًا في بنوك أوروبا؟ كم مليارًا في بنوك أمريكا؟ ماذا تركت لأولادك الخمسة عشر؟ كم قصرًا؟ كم طيارة؟ كم عمارة؟ كم سيارة؟ كم تركت لأولادك؟ وإذا بأمير المؤمنين يجيب بكلمة واحدة: تركت لهم تقوى الله!

لا إله إلا الله، كيف يا أمير المؤمنين؟! فيقول أمير المؤمنين: إن كانوا صالحين، فالله يتولَّى الصالحين، وإن كانوا غير ذلك، فلن أترك لهم شيئًا يستعينون به على معصية الله.

وإذا بعمر يصدر الأمر إلى زائريه بالانصراف فورًا؛ ليتركوه وحدَه على فراش الموت، وتدخل عليه فاطمة الوفيَّة، الأمينة، الزاهدة، بنت الخلافة، ولكنها رَمَتِ الدنيا كلَّها وراء ظهرها، تدخل عليه وهو في السكرات، فيقول لها: يا

فاطمة، اخرجي الآن، فإنني أرى خَلْقًا يزاحمون عليَّ مكاني هذا، أرى خَلْقًا غريبًا ذوي أجنحة لم أرهم قبل الآن، اخرجي يا فاطمة، اخرجي يا فاطمة، آن للغريب أن يرى حماه، آنَ للغريب أن يرى رباه، آن للغريب أن يعودَ إلى دار البقاء، اخرجي يا فاطمة، إن هناك أجسامًا نورانيَّة ذوي أجنحة، مثني، وثُلاث، ورُباع، اخرجي يا فاطمة، فإن الرُّوح تُزَف، لأنها ستصل إلى خالقها الأعظم، ستكون في ضيافة الرحمن {يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي} [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

- إن عمر وهو في ساعة الاحتضار كان يرتِّل آيةً واحدةً في كتاب الله، ختم بها سِجِلَّ حياته، هذه الآية هي قوله تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: ٨٣].

- قال مالك بن دينار رحمه الله: لما وَلِيَ عمر، قالت رُعاة الشاة في ذروة الجبال: من هذا الخليفة الصالح الذي قد قام على الناس؟ فقيل لهم: وما علمكم بذلك؟ قالوا: إنا إذا قام على الناس خليفة صالح، كَفَّت الذئاب والأُسْد عن شِيَاتِنا.

- قال حسن القصار رحمه الله: كنت أحلب الغنمَ في خلافة عمر، فمررت براعٍ وفي غنمه نحو من ثلاثين ذئبًا حسبتهم كلابًا، ولم أكن رأيتُ الذئابَ من

قبل، فقلت: يا راعي، ما ترجو بكل هذه الكلاب؟ فقال: يا بُني، إنها ليست كلابًا، وإنما هي ذئاب، يا بُني، إذا صلح الرأس، فليس على الجسد بأس.

فرحم الله عمر رحمة واسعة، وجزى الله عمر عن الإسلام والمسلمين خيرَ الجزاء، كما نسأله جل وعلا أن يجعلَ فَرَجَ هذه الأمة بأمثال عمر، اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.